



السبت 21 مارس 2015 06:03 م

كتب: بقلم: عامر شماخ

جلس أمامى مطأطئ الرأس حزيتًا، شاردا الذهن كمن أصابته مصيبة.. ما لك يا فلان؟!، نظر إلّى مغضبًا -كأنه يعاتبني لعدم إحاطتى بأسباب هّمّه- قال: وماذا بعد؟!، أدركت ماذا يقصد.. إنه أحد الذين انحازوا للشرعية واهتموا بمجريات الأحداث بعد أن كان مشغولا على مدى خمسين سنة -هى عمره- بما تشغل به غالبية شعبنا المسكين.. واليوم جاء محبطًا، يشكو تأخر النصر وبروز الباطل وقد اسودت الدنيا في ناظره فلم ير بهما سوى ظلمات بعضها فوق بعض..

قلت: يا أختى، لعلك لا تدرك أن النتائج لا نقررهما نحن، بل هى من صنع الله، فى طريقها وزمنها المناسبين، وأنا مأمورون فقط بالسعى والعمل، فضلا عن اجتناب المعاصى والإكثار من الطاعات والاستعانة بالله فى غدونا ورواحنا، وقبل ذلك الصبر على طول الطريق ومشقاته، فإن ذلك شطر الإيمان، وأنا -لا محالة- معرضون للابتلاءات، هذا إذا كنا صادقين فى حيننا لله، مخلصين لشرعيته ودينه، ولو نجا أحد من تلك الابتلاءات والمحن لنجا منها رسل الله، وهم المجتوبون الأخيار الذين صنعهم على عينه وراهم على طريقته.

واستطردت: إن انتفاش الباطل وفرض سلطانه على الأغلبية بقوة البطش والسلاح لا يعنى أبدًا أنه منتصر، إنما الحقيقة أنه فى قمة انكساره، ولو كان واثقًا من نفسه مطمئنًا إلى الشعب الذى يحكمه ما ظل هكذا شاهرًا سلاحه فى وجه الجميع، متوترًا مهووسًا، يحسب كل صيحة عليه، ولتعلم أن الطغاة جميعًا يسلكون هذا المسلك الحيوانى، ليس لأنهم أقوياء ولكن لضآلتهم وهوانهم يستترون خلف هذه الأسلحة لإجبار الأحرار على الاعتراف بهم والسير تحت لوأثمهم، وإن كان هذا اللواء يجلله العار ويكسوه الشار.

وقلت لصديقى: إن المؤمن الطائع الفاهم لدينه يثق فى وعد الله للمتقين، مهما طال الطريق، فلا ييأس، ولا يقنط، ولا يبدل أو يغير؛ لعلمه أن القوى العزيز لا يضيع أوليائه، ولا ينسى أصفياه، فهو معهم أينما كانوا، داعيًا وحافظًا ونصييرًا. وأهل الشرعية يا سيدى لم يظلموا أو يفجروا أو يجوروا كى يتعرضوا لكل هذا الأذى والعذاب، إنما كل ما فعلوه أن قالوا ربنا الله، فنقم المجرمون منهم وأمرنا بقتلهم والتشنيع عليهم، وهذا لعمري هو عين ما جرى لأنبياء الله ورسله، فلم يؤذ نبينا الكريم قومه يوم أن جاء بدعوته، بل قال لهم -حرصًا عليهم ورغبة فى هدايتهم-: إنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فردوا عليه بقول غليظ وفحش صريح، قالوا: تبًا لك سائر اليوم، وهكذا دأب الفاسدين يقابلون الإحسان بالإساءة، والحسن بالقبيح، والعفة بالبيداء.

ووالله لن يضيع الله قومًا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وأرادوا لأوطانهم وأقوامهم خيرًا، وإن عاداهم الخلق جميعًا، وإن قتلوا وحرقوا وفعلت بهم الأفاعيل، ذلك أن الله غالب على أمره، وما حاده أحد إلا سلب عليه سيف انتقامه، وما أودى أحد فى سبيله إلا كانت له عاقبة حسنى، وكان هو الأعلى، ألم تر ما فُعل بيوسف -عليه السلام- وقد انتقل من محنة إلى أخرى حتى ولاه الله الحكم، وأخلد ذكره فى العالمين وجعله المثل الأعلى فى الهدى والتقى والعفاف والإحسان؟

وانظر إلى ما جرى لموسى -عليه السلام- وقد كاد فرعون أن يلحق به ويقومه، ولم يكن أمامهم مهرب، فالبهر أمامهم والعدو خلفهم، لكن أراد الله أن يعطى الجائزة لأهله وخاصته، وأن يهلك من كفر به وبرسوله، فانطلق البحر فسار فيه موسى ومن معه، ودخله فرعون مغتربًا بقوته ومن حوله، فأغرق، ثم ينجو بدنه ليكون لمن خلفه آية، فهل انتعظ هؤلاء؟! لم يتعظوا لغباء فى عقولهم ولسواد فى قلوبهم، ما جعل نهاياتهم سوداء، أرادوها كذلك للرسل والدعاة، فكتبها الله عليهم عقيما كالحة ليشفى بذلك صدور قوم مؤمنين.

إن شعار المؤمن ما قاله موسى يوم نجاه الله وأغرق فرعون: {إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء: 62]، وهو نفسه شعار محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يوم نجاه الله من المشركين {ثَانِيًا أَنبَيْنَا هَهُنَا فِي مَعَارِجٍ يَعْلَمُهَا أَنَّهَا فِي يَمِينِ يَدَيْهِ لِيَصْطَرَّ مِنْهَا فِرْعَوْنُ إِنَّهُ كَفَرْتُمْ فَسَنَفَعُ مِنْهَا مَنْ يَسْتَمِعُ وَيَصْفَى لَكُمُ الْيَمِينُ ذِي الْكُرْسِيِّ وَحَيْثُ كَانَ مِنْهُ لَخَصٌ تَجْرِبَتُهُ فِي الْحَيَاةِ {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ بَلَاءَهُ لَا يَضِيعُ أَجْرَ بَمِحْسِنِينَ} [يوسف: 90]، وهو نفسه شعار نوح عليه السلام لما سخر منه قومه عندما كان يصنع السفينة لينجو بها ومن معه من المؤمنين، قال: {إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} <38> فَسَوْفَ نَعْلَمُ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَخْلِي عَلَيْهِ عَذَابٌ يَغِيْمُ} [هود: 38، 39].

هناك -إدًا- من يعتَمُّ لما يرى من اجتماع المجرمين على دعوة الله، والتنكيل بأبنائها، وهؤلاء يحتاجون إلى مراجعة ما جرى للصالحين من قبلهم، وهناك الواعون الوثائقون بربهم الذين يستبشرون لمثل هذا؛ فإن هذا إن وقع فهو معنى أنهم يسبرون في الطريق الصحيح، وأن النصر قاب قوسين أو أدنى منهم، اقرأ معي قول الله تعالى: {لَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْرَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا بِرَبِّنَا فَانصَبْنَا لَهُمْ وَقَنَاصُوا لَهُمْ خَالِفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ يَأْتِيهِمْ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ لِيُذِيقَهُمْ قَسْوَةَ الْحَيَاةِ وَالْآخِرَةِ لِيَسْأَلُوا بِهِمْ أَتَانَا بِهِمْ أَمْ لَا تَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا قَدِ آنَسَ مِنْ دُونِهَا مَنَافِعَ وَمَضَى سَنَاسُهُمْ فِي الْأَحْرَابِ وَهُمْ يَكْفُرُونَ} [الأنعام: 22]، {بَدِئَ قَالُوا لَهُمْ بَنَاتٍ إِنَّ بَنَاتٍ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ نِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: 173].

لا خوف إدًا على الدين، فالله حافظه، لكن الخوف -كل الخوف- على أنفسنا، أن نطاوعها فيما جبلت عليه من الركون إلى الدعة وإيثار السلامة، فتزل قدم بعد ثبوتها ونكون في عداد الخاسرين {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُمَا وَكُلُّ النَّاسِ لِرَبِّهِمْ كَافِرُونَ} [النساء: 65]. نسأل الله السلامة.

<https://www.ikhwanonline.com/article/226836>